التضمين النحوي في اللغة العربية
نماذج من تطبيقاته في القرآن الكريم

د. عثمان أحمد محمد البشير*

* أستاذ مشارك - قسم اللغة العربية - كلية التربية - جامعة القرآن الكريم وتأصيل العلوم.

مستخلص البحث

يعتبر موضوع التضمين النحوي من الموضوعات المهمة التي تناولها علماء اللغة والنحو وأفاضوا فيها، وقد ورد في كلام العرب شعرهم ونثرهم، كما ورد في أجزاء الكلمة الثلاثة الاسم والفعل والحرف، وعلى الرغم من اختلاف المدرستين البصرية والكوفية في منع وجواز وقوع التضمين في الحرف إلا أن النماذج القرآنية جاءت مشتملة على وقوعه في جميع أجزاء الكلمة، وجاء البحث في مبحثين وستة مطالب تناولت التعريف بالتضمين وشروطه ومواضع وقوعه والنماذج القرآنية التي ورد فيها وقد استخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي وقد توصل البحث إلى عدد من النتائج أهمها اعتماد قياسية التضمين ووقوعه في جميع أجزاء الكلمة سواء في القرآن الكريم أو في كلام العرب، وخلص إلى عدد من التوصيات أهمها عمل دراسات وبحوث للتضمين في القرآن الكريم والحديث الشريف.

Abstract

The subject of grammatical inclusion is one of the important topics dealt with by linguists and grammar, and they have elaborated on it. The words of the Arabs have their poetry and prose, as mentioned in the three parts of the word name, verb and the letter. Although the Basral and kufic schools differ in the prevention and permissibility of inclusion in the letter, Quran came to include the occurrence in all parts of the word, this research came in two topics and six requirements dealt with the definition of inclusion and conditions and locations of occurrence and Quran models in which the researcher has used the descriptive analytical method. The researcher has reached a number of results, including the adoption of a standard Yen and its occurrence in all parts of the word, whether in the Quran or in the words of the Arabs, and concluded a number of recommendations, the most important studies and research for inclusion in the Quran.

المقدمة

يعتبر التضمين من القضايا والمسائل المهمة في النحو العربي فقد أولاه علماء العربية اهتماماً خاصاً، وعناية فائقة، ذلك لكثرة وروده في كلام العرب شعراً ونثراً؛ كما يعتبر مفتاح من مفاتيح هذه اللغة الشريفة وسر من أسرارها، لما فيه من توسع في المعنى بألفاظ مختصرة تأتي للدلالة على أكثر مما وضعت له، فتحتمل وتتضمن أكثر من معنى وبكل سهولة ويسر ومن غير خلل أو شذوذ، فيكون الإبداع ويكون التجويد[1]. يقول ابن جني: (... ووجدت في اللغة من هذا الفن شيئاً كثيراً لا يكاد يحاط به... فإذا مرَّ بك شيءٌ منه فتقبله وأنس به، فإنه فصل من العربية لطيف، حسنٌ يدعو إلى الأنس بها والفقاهة فيها)[2].

هذا وقد وقع التضمين كثيراً في كلام العرب كما وقع كثيراً في القرآن الكريم والحديث الشريف، يقول ابن جني: (ولعله- أي التضمين- لو جمع أكثره لا جميعه لجاء كتاباً ضخماً، وقد عرفت طريقه)[3]. وعلى الرغم من اختلاف العلماء في وقوع التضمين في أقسام الكلمة الثلاثة الفعل والاسم والحرف إلا أنَّ جمهور النحاة واللغويين على وقوع التضمين في الفعل والاسم والحرف.

ولما كان التضمين نوع من أنواع اتساع العرب في أساليب كلامها، فقد جاء على عدد من المقاصد، اختلف العلماء في عددها، فهنالك التضمين البلاغي، والأدبي، والعروضي والبياني والنحوي. وسيتناول هذا البحث موضوع التضمين النحوي في القرآن الكريم وذلك بإيراد نماذج من التطبيقات.

أساسيات البحث:

(أ) مشكلة البحث:

يعالج هذا البحث موضوع التضمين النحوي في اللغة العربية ويجيب على بعض التساؤلات حول موضوع التضمين، كتعريف التضمين، وهل وقع في أجزاء الكلمة الثلاثة؟ وما الفرق بين التضمين وتناوب الحروف؟ وهل التضمين قياسي أم سماعي؟ وما هي شروطه؟

(1) انظر التضمين النحوي في القرآن الكريم – محمد نديم فاضل – دار مكتبة الزمان للنشر والتوزيع- 1426هـ2005-م- المملكة العربية السعودية- المدينة المنورة - ص20.

(2) الخصائص: لأبي الحسن عثمان بن جني- تحقيق محمد علي النجار- الهيئة المصرية العامة للكتاب- ط4-1999م- ج-2 ص310.

(3) المصدر نفسه- ج-2 ص310.

(ب) أهمية البحث:

تأتي أهمية البحث لاهتمام علماء العربية بموضوع التضمين عامة، والتضمين النحوي بصورة خاصة، كما تأتي أهميته من كثرة وقوعه في كلام العرب شعراً ونثراً، وما استقر عليه الرأي في مسألة التضمين عند المتأخرين.

(ج) أهداف البحث:

يهدف البحث إلى الوصول إلى الراجح من أقوال العلماء والنحاة في مسألة التضمين واعتماد قياسيته وبالشروط التي وضعها المتأخرون من العلماء. كما يهدف إلى الوصول إلى الراجح من أقوال العلماء في مسألة تناوب الحروف بعضها عن بعض، وإيراد النماذج القرآنية التي تؤكد ذلك.

(د) منهج البحث:

اتبع الباحث المنهج الوصفي الاستقرائي التحليلي لما تطلبه طبيعة البحث.

(هـ) هيكل البحث:

وقد جاء هيكل البحث على النحو التالي:

المبحث الأول: **مفهوم التضمين في النحو العربي**

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تعريف التضمين لغةً واصطلاحاً.

المطلب الثاني: أنواع وشروط التضمين النحوي.

المطلب الثالث: مواضع وقوع التضمين النحوي والقرائن الدالة عليه.

المبحث الثاني: **نماذج من تطبيقات التضمين النحوي في القرآن الكريم**

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: نماذج من تطبيقات التضمين النحوي في الفعل.

المطلب الثاني: نماذج من تطبيقات التضمين النحوي في الاسم.

المطلب الثالث: نماذج من تطبيقات التضمين النحوي في الحرف.

الخاتمة – أهم النتائج – أهم التوصيات – أهم المصادر والمراجع.

المبحث الأول

مفهوم التضمين في النحو العربي

المطلب الأول

تعريف التضمين لغةً واصطلاحاً

تعريف التضمين لغةً:

التضمين مصدر للفعل (ضَمنَ)– جاء في لسان العرب ضَمنَ الشيء: أودعه إياه، وضَمنَ الشيء وبه ضمْناً وضَماناً: كفل به، وضَمَّنه إياه كفله، ويقال: ضمنتُ الشيء أضمنه ضماناً فأنا ضامنٌ وهو مضمون، وجاء في الحديث: (من مات في سبيل الله فهو ضامن على الله أن يدخله الجنة، أي ذو ضمان على الله...)[1] ويقال ضَمِن الشيء بمعنى تضمنه، ومنه قولهم: مضمون الكتاب كذا وكذا، والمضَّمن من الأصوات ما لا يستطاع الوقوف عليه حتى يوصل بآخر[2].

وجاء في مختار الصِّحاح: (ضَمِن بالكسر ضماناً: كفل به، وضَّمنه جعله في وعاء، وتضَّمن اشتمل؛ وأنفذته ضمن الكتاب: أي في طيه)[3].

وجاء في القاموس المحيط: (ضمن الشيء: كفله، وضمَّن الشيء تضميناً، فتضمنه: التزمه– ضمنته الوعاء: جعلته فيه، وتضمنه اشتمل عليه[4].

وجاء في المعجم الوسيط: (ضمن الرجل ضماناً: كفله، أو التزم به أن يؤدي عنه ما قد يقصَّر عن أدائه، وضمن الشيء جزم بصلاحيته، وخلوه مما يعيبه، وضمنَّه احتواه، والتضامن التزام الغني معاونة الضعيف)[5].

من خلال التعريفات السابقة التي أوردتها المعاجم القديمة والحديثة، يتضح لنا أن للتضمين معانٍ كثيرة، إلا أن المعاجم جميعها متفقة على أن التضمين يعني

(1) سنن أبي داود- للإمام أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي- 202-275هـ- دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع- مراجعة وضبط وتعليق محمد محي الدين عبدالحميد- كتاب الجهاد فصل الغزو في البحر- المجلد الثاني- ج-3 ص7.

(2) لسان العرب للعلامة أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري 630-711هـ- مطبعة دار إحياء التراث العربي- مؤسسة التاريخ العربي- بيروت-لبنان- الطبعة الثالثة 1413هـ 1993م- ج8 ص89.

(3) مختار الصحاح للشيخ الإمام محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي- طبعة دار المعاجم- مكتبة لبنان 1986م- ص-161 مادة: ض.م.ن.

(4) القاموس المحيط للشيخ مجد الدين يعقوب الفيروزبادي الشيرازي- دار العلم للملايين- بيروت- لبنان- ج-4 ص243.

(5) المعجم الوسيط- قام بإخراجه إبراهيم مصطفى- أحمد حسن الزيات- حامد عبدالقادر- محمد علي النجار- المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع- استانبول- تركيا- الطبعة الثانية 1392هـ - 1972م- ج-1 ص544.

الإيداع، إيداع شيء في شيء آخر سواء أكان هذا الشيء وعاءً أو كتاباً أو لفظاً، وهو ما يؤكده المعنى الاصطلاحي لمعنى كلمة التضمين؛ أي: إيداع لفظ معنى لفظٍ آخر بشروط.

تعريف التضمين اصطلاحاً:

التضمين عند علماء العربية على معان منها:

- إيقاع لفظ موقع غيره، ومعاملته معاملته لتضمنه معناه واشتماله عليه[1].
- وعرَّفه ابن هشام اصطلاحاً بقوله: (قد يشربون لفظاً معنى لفظ فيعطونه حكمه، ويسمى ذلك تضميناً وفائدته أن تؤدي كلمة مؤدى كلمتين)[2].
- ويعرِّفه ابن جنِّي تعريفاً أكثر شمولاً وأوسع معنى فيقول: (اعلم أن الفعل إذا كان بمعنى فعل آخر أو كان أحدهما يتعدى بحرف والآخر بآخر، فإن العرب قد تتسع فتوقع أحد الحرفين موقع صاحبه إيذاناً بأن هذا الفعل في معنى ذلك الآخر، فلذلك جيء معه بالحرف المعتاد مع ما هو في معناه)[3].
- وتعريف ابن يعيش كتعريف ابن جنِّي مع اختلاف جملة: كان أحدهما يصل إلى معموله بحرف والآخر يصل بآخر.
- وتعريف صاحب المعجم الوسيط كتعريف العُكْبُرِيِّ، فالتضمين عندهما إشراب معنى فعل لفعل آخر ليعامل معاملته[4].

وإذا نظرنا إلى التعريفات السابقة نستطيع أن نخلص إلى أن التضمين في معناه الإصطلاحي العام هو إيقاع لفظ موضع لفظ آخر، ومعاملته مثله لتضمنه معناه واشتماله عليه. ولكن هنالك اختلاف بين العلماء في استعمال اللفظ المُضَّمن، هل المقصود استعماله في معناه الأصلي أي: المقصود أصالة ومن قبيل الحقيقة؟ أم أنه من باب الكناية أم من باب المجاز، أم من باب الإضمار؛ ففيما يرجح البعض أنه من باب الحقيقة يرى آخرون أنه من باب المجاز. وفي نظر الباحث أن هذا الاختلاف

(1) انظر المعجم الوسيط- مرجع سابق- ص544.
(2) مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب- للإمام جمال الدين عبدالله بن يوسف بن أحمد بن هشام المتوفى سنة 761هـ - طبعة دار السلام القاهرة- تحقيق أ.د. صلاح عبدالعزيز علي السيد- مج (2) ص862.
(3) الخصائص لابن جنّي- مرجع سابق- ج(2)- ص310.
(4) انظر المعجم الوسيط ص-544 مرجع سابق.

يرجع إلى قرب العلاقة بين التضمين والمجاز، ففي كل منهما معنيان، إلا أن كلا المعنيين في التضمين مقصود لذاته؛ أما في المجاز فالمعنى المذكور غير المراد، وإنما المعنى المراد هو المخفي، ويتناول المطلب الثاني الحديث عن شروط وأنواع التضمين وفيه تفصيل لهذا الخلاف بين معنى التضمين ومعنى المجاز.

المطلب الثاني

أنواع وشروط التضمين

أولاً: **أنواع التضمين:**

تناول علماء العربية أنواع التضمين بشيء من التفصيل، فذكروا له أنواعاً ومثلوا لها بأمثلة متنوعة من الشعر والنثر، فذكروا التضمين البياني وهو جعل الشيء في موضع على غير حاله في سائر الكلام. ويرى فريق آخر أن اللفظ مستعمل في معناه الأصلي ويكون هو المقصود أصالة، ويرى آخرون أن المعنيين مرادان على طريق الكناية، فيراد المعنى الأصلي توصيلاً إلى المقصود ولا حاجة للتقدير إلا لتصوير المعنى ويرى فريق ثالث أن المعنيين مرادان على طريق عموم المجاز[1].

أما التضمين البلاغي فيتناول التضمين في علم المعاني وهو ما يطلق عليه اسم الاقتباس، وهو إدخال الشاعر شيئاً من شعر غيره في شعره كالاقتباس من القرآن الكريم أو الحديث الشريف ومثاله قول سراج الدين الوراق[2]:

تَوَارَتْ مِنْ الوَاشي بليل ذوَائب ... لهُ مِنْ حَبِيْبٍ وَاضِح تَحْتَهُ فَجْرُ
فَدَلَّ عَلَيْه شَعْرَهُ لَظلامهً

فالشطر الأخير من البيت الثاني مضمن من قول أبي فراس الحمداني[3]:

سَيَذْكُرُني قَوْمِي إذَا جَدَّ جَدُّهُم ... وَفِي اللَيْلَة الظَلْمَاء يُفْتَقَدُ البَدْرُ

وقد فصّل علماء البلاغة في هذا النوع كثيراً.

(1) انظر التضمين في النحو العربي- بحث مقدم من منيرة محمود الحمد- أستاذ مساعد بقسم اللغة العربية كلية الآداب للبنات- الرياض1412هـ- ص443.

(2) انظر المستطرف من كل مستظرف- لشهاب الدين محمد بن أحمد بن منصور الإبشيهي أبي الفتح- المتوفى سنة 852هـ- الناشر عالم الكتب- بيروت- الطبعة الأولى 1419هـ- ص264.

(3) ديوان أبي فراس الحمداني – رواية أبي عبدالله الحسين بن خالويه – طبعة دار صادر- بيروت – الطبعة الثانية 2005م – ص161، انظر التضمين النحوي لمنيرة محمود الحمد- ص443.

وهنالك التضمين البديعي، وهو أن يورد الشاعر أو الكاتب في عباراته أو أبياته لفظين أو أكثر مزدوجين، وذلك بمراعاته لحدود الإسجاع والقوافي، وقد ورد من هذا النوع الشيء الكثير في القرآن الكريم من ذلك قوله تعالى: ﴿وَالضُّحَى• وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى• مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾ [الضحى: 1-3]، وقوله تعالى: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى• مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى• وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى﴾ [النجم: 1-3]، وقوله تعالى: ﴿وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ﴾ [النمل: 22].

وفي الشعر ورد التضمين في آخر القافية، وهو ما يسمى بالتضمين العروضي؛ وهو أن تتعلق قافية البيت الأول بالبيت الثاني، كبيت النابغة المشهور[1]:

وهُمْ وَرَدُوا الجِفَار عَلَى تَميم ... وَهُمْ أَصْحَاب يَوم عُكَاظ إني
شَهِدَتْ لَهُم مَوارِد صَادِقَات ... شَهِدْنَ لَهُم بِصِدقِ الوُّد مِنِّي

هذا ولم يَعُد بعض النقاد التضمين العروضي عيباً من عيوب القافية بل ذهبوا إلى أن ذلك حسن كابن الأثير والأخفش[2].

أما التضمين النحوي الذي يتناوله هذا البحث والذي ورد في جميع أقسام الكلمة بشروط فقد عرَّفه النحاة بأنه التوسع في استعمال لفظ يجعله مؤدياً معنى لفظ آخر مناسب له فيعطي الأول حكم الثاني في التعدي واللزوم[3]. وإلى هذا التعريف أو قريب منه كان تعريف بقية العلماء له. وهو ما أكد عليه مجمع اللغة العربية وعرَّفه بالآتي[4]: (التضمين أن يؤدي فعل أو ما في معناه في التعبير مؤدى فعل آخر أو في معناه فيعطي حكمه في التعدية واللزوم، واشترط عليه شروطاً لابد أن تتوافر فيه).

(1) ديوان النابغة الذبياني شرح وتقديم عباس عبدالستار- دار الكتب العلمية – بيروت- لبنان- الطبعة الأولى1405هـ 1984م- ص138.
(2) انظر أنواع التضمين في علوم العربية للأستاذ/عبدالحليم يوقي- بحث منشور بمجلة دراسات أدبية العدد الثالث 2009م- الجزائر- مركز البصيرة للبحوث والدراسات- ص7.
(3) الخصائص- ابن جني- ج-2 ص-310 مرجع سابق.
(4) انظر قرار مجمع اللغة العربية في القاهرة- دورة الانعقاد الأولى- مجلة مجمع اللغة العربية- العدد الأول- ص33.

ثانيا: **شروط التضمين:**

اختلف علماء العربية في قياسية التضمين، فذهب بعضهم إلى أنه سماعي ولكنه شاع فصار كالقياس. والأكثر من النحاة على أنه قياسي على وزن التفعيل؛ وهذا الرأي هو الذي أقره مجمع اللغة العربية بالقاهرة بشروط ثلاثة[1] هي:

1. تحقق المناسبة بين الفعلين.
2. وجود قرينة تدل على ملاحظة الفعل الآخر ويؤمن معها اللبس.
3. ملاءمة التضمين للذوق العربي وفصاحة اللغة.

وبذلك أوصى مجمع اللغة العربية بالقاهرة بأن لا يُلجأ إلى التضمين إلا لغرض بلاغي، وضابطه أن يكون الأول والثاني من الفعلين مجتمعين في معنى.

ويرى الباحث أن مما يرجح قياسية التضمين كثرة ما ورد منه في كلام العرب، يقول ابن جني في كتابه الخصائص: (ووجدت في اللغة من هذا الفن شيئاً كثيراً لا يكاد يحاط به، ولعله لو جمع أكثره لا جميعه لجاء كتاباً ضخماً)[2].

ونقل ابن هشام عن أبي الفتح عثمان ابن جني في كتابه التمام عن التضمين قوله: (أحسب لو جمع ما جاء منه لجاء منه كتاب يكون مئين أوراقاً)[3].

وإذا كان التضمين بهذه الكثرة في كلام العرب؛ ويحقق أغراضاً بلاغية وغير بلاغية وتناوله وأشار إليه كثير من علماء اللغة والنحو فلماذا لا نقرر قياسيته ونرجحها، ونفتح باباً واسعاً لتنوع أساليب اللغة والكلام بدلاً من الحكم عليه بأنه سماعي، يقتصر فيه على ما تمّ سماعه من قدماء اللغة والنحو فنكون بذلك قد ضيقنا واسعاً، وسددنا باباً في اللغة يرجع إلى أصول ثابتة فيها[4].

ولذلك فقد كان قرار مجمع اللغة العربية بالقاهرة صائباً باعتماده قياسية التضمين وفق الشروط التي أشرنا إليها.

(1) المرجع نفسه- العدد الأول- ص33.
(2) الخصائص لابن جني- ج-2 ص310 – مرجع سابق.
(3) مغني اللبيب لابن هشام الأنصاري- ج-2 ص-342 مرجع سابق.
(4) انظر: التضمين النحوي في القرآن الكريم- تأليف الدكتور محمد نديم فاضل- ص-109 مرجع سابق.

المطلب الثالث

مواضع وقوع التضمين والقرائن الدالة عليه

أولاً: مواضع وقوع التضمين:

كما اختلف علماء اللغة والنحو في قياسية التضمين، اختلفوا كذلك في المواضع التي يقع فيها التضمين من أنواع الكلمة الثلاثة، فهل يقع التضمين في الفعل والاسم والحرف أم يقع في بعضها دون الآخر، ويرجع ذلك إلى اختلافهم في مسألة تناوب الحروف وعدم التناوب.

1. وقوع التضمين في الفعل:

أجمع علماء اللغة والنحو على وقوع التضمين في الفعل، وبالنظر إلى بعض النصوص نتأكد ويتضح لنا ذلك، يقول ابن جني: (... وأنَّ الفعل إذا كان بمعنى فعل آخر أوقعت أحد الحرفين موضع صاحبه)[1].

وكذلك ذهب العكبري حين قال: (إنَّ التضمين إشراب معنى فعل لفعل آخر...)[2]. أما تعريف مجمع اللغة العربية فقد نص على أنَّ التضمين (أن يؤدي فعل أو ما في معناه مؤدى فعل آخر فيُعطى حكمه)[3] وأما ابن هشام فلم يصرح بلفظ الفعل حين قال: (قد يشربون لفظاً معنى لفظ آخر فيعطونه حكمه)[4] ولكن احتمال كلمة لفظ لمعنى الفعل أقوى وأرجح.

ويرى محمد نديم فاضل أنَّ التضمين في الفعل موضع شريف أكثر الناس تضعف عن احتماله لغموضه ولطفه والمنفعة به كبيرة والاستناد إليه مجدٍ[5] في إشارة إلى ضعف وقوع التضمين في الحرف كما ذهب إلى ذلك البصريون.

وعلى الرغم من كثرة من يوقعون التضمين في الفعل إلا أن البعض يرى أن الحروف يقع فيها التضمين كذلك وأن حروف الجر يبدل بعضها بعضاً ويحمل بعضها معاني بعض، فهم يوقعون التضمين في الحروف كما يوقعونه في الأفعال

(1) الخصائص لابن جني- ج-2 ص-310 مرجع سابق.
(2) انظر المعجم الوسيط- ص-544 مرجع سابق.
(3) انظر قرار مجمع اللغة العربية – العدد الأول ص-33 مرجع سابق.
(4) مغني اللبيب لابن هشام الأنصاري- مج(2) ص-341 مرجع سابق.
(5) انظر التضمين النحوي في القرآن الكريم- د.محمد نديم فاضل ص-177 مرجع سابق.

والأسماء إلا أن وقوع التضمين في الأفعال أوسع وأقيس[1].

والراجح أن التضمين يقع في الفعل والاسم والحرف ليؤدي اللفظ معنى لفظ آخر، ويأتي التضمين في الفعل على عدة صور وبعدد من الأسباب أهمها:

التعدية وهي من أسباب وقوع التضمين في الفعل وتأتي على عدة صور منها:

(1) قد تكون التعدية بزيادة الهمزة في أول الكلمة، كقوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ﴾ [فاطر: 34]. فالفعل ذهب فعل لازم، تقول: ذهب الحزنُ، ولكنك عديته بدخول الهمزة في أوله.

(2) تضعيف عين الفعل الثلاثي اللازم ومثاله الفعل (فرح) في قولك: فرِح الطالب بالنجاح، فإذا ضعَّفت عينه أصبح متعدياً فنقول: فرَّحتُ الطالبَ.

(3) حذف حرف الجر، بحيث يصبح الجار والمجرور مفعولاً به من حيث المعنى، ويأتي ذلك توسعاً في الكلام مع مراعاة مناسبة معنى الجملة، كقول جرير[2]:

تمرُّونَ الدِّيار ولَمْ تَعُوجُوا كَلامُكُم عليّ إذاً حَرَامُ

وأصل الكلام تمرون بالديار، فحذف حرف الجر فانتصب الاسم بعده. ومنه قول عمر بن أبي ربيعة[3]:

غَضِبَتْ أنْ نَظَرتُ إلى نِسَاء لَيْسَ يَعْرِفْنَني مَرَرن الطَّرِيق

أراد: مررت بالطريق، فحذف حرف الجر توسعاً فانتصب الاسم بعده. وحذف حرف الجر وانتصاب الاسم بعده قاصر على السماع، ويسمى أحياناً بالحذف والايصال.

وقد ورد عن العرب حذف حرف الجر وإعمال الفعل بعده مباشرة في بعض الكلمات، كقولهم: توجهت مكة، وذهبت الشام، باسقاط حرف الجر (إلى).

(4) قد تكون التعدية بزيادة ألف المفاعلة على الفعل اللازم، نحو:

جالست العلماء، تريد جلست إلى العلماء.

(1) انظر التضمين النحوي- محمد نديم فاضل- نقلاً عن ابن العربي- ص-173 مرجع سابق.

(2) ديوان جرير بشرح محمد بن حبيب – تحقيق الدكتور نعمان محمد أمين طه- طبعة دار المعارف- القاهرة- ص278.

(3) شرح ديوان عمر ابن أبي ربيعة المخزومي- الناشر المكتبة التجارية الكبرى لصاحبها مصطفى محمد- الطبعة الثالثة- 1384هـ 1965م- ص451.

(5) وقد تكون التعدية بإشراب فعل لازم معنى فعل متعد، فيأخذ حكمه في التعدية، من ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ﴾ [البقرة: 235]، عدّى الفعل (عزم) بنفسه لا بحرف الجر "على"، والأصل: ولا تعزموا على عقدة النكاح.

هناك أسباب أخرى للتعدية أشار إليها النحاة في مصنفاتهم لا يسع البحث لذكرها، من ذلك ما ورد في شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك[1]. وكما وقع التضمين بسبب تعدي الفعل اللازم ليصبح متعدياً، وتعدي الفعل للمفعول الواحد لينصب مفعولين، وما ينصب مفعولين يتعدى لينصب ثلاثة مفاعيل، كذلك وقع التضمين بسبب لزوم الفعل المتعدي، أي أنه يتضمن الفعل المتعدي معنى الفعل اللازم فيصبح قاصراً على رفع الفاعل دون نصب المفعول، أو يصل إلى مفعوله بحرف الجر ومثال ذلك: الفعل (يسمع) فهو يتعدى بنفسه كما في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ﴾ [ق: 42]، وقوله تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾ [المجادلة: 1]، ولكن الفعل سمع عندما يضمن معنى فعل لازم يتعدى إلى غيره بحرف الجر كقوله تعالى: ﴿لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلَإِ الْأَعْلَى﴾ [الصافات: 8]، أي لا يصغون، ومن ذلك قولهم: (سمع الله لمن حمده) أي استجاب، فضمن الفعل سمع المتعدي معنى الفعل اللازم أصغى، واستجاب فرجع لازماً.

ومن أسباب لزوم الفعل المتعدي المطاوعة، وتحويل صيغة الفعل بقصد التعجب بضم عينه للمبالغة، وكذلك ضعف العامل بتأخيره.

ثانياً: **وقوع التضمين في الاسم:**

أجمع علماء النحو واللغة على وقوع التضمين في الاسم، لم يخالف منهم أحد، يقول الزركشي: (التضمين إعطاء الشيء معنى الشيء وتارة يكون في الأسماء وفي الأفعال وفي الحروف، فأما في الأسماء فهو أن تضمن اسماً معنى اسم لإفادة معنى الاسمين جميعاً كقوله تعالى: ﴿حَقِيقٌ عَلَى أَن لَّا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ

(1) انظر شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك – تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد – مكتبة دار التراث- طبعة 1426هـ 2005م- ج(1)- ص115.

﴿إِلَّا الْحَقَّ﴾ [الأعراف: 105]، ضمن حقيق معنى حريص...[1] وقد يضمن الاسم معنى الفعل كالأسماء العاملة عمل الفعل كالمصدر واسم الفاعل واسم المفعول وصيغ المبالغة واسم التفضيل واسم الفعل وغيرها، وقد يكون التضمين في الأسماء على الحمل على المعنى، وقد يضمن الاسم معنى حروف المعاني إلى غير ذلك من أسباب تضمين الاسم.

ومن أمثلة تضمين الاسم معنى اسم آخر لإفادة معنى الاسمين، تضمين (الرفث) معنى الإفضاء، وتضمين (سعيها) معنى (عملها الذي عملته في الدنيا من طاعة) في قوله تعالى: ﴿لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ﴾ [الغاشية: 9].

ومن أمثلة تضمين الاسم معنى الفعل، المصدر، تقول: (ضرباً زيداً)، فنصب (زيداً) بالمصدر (ضرباً) الذي هو بمعنى فعل الأمر (أضرب)، ومثاله أيضاً اسم الفاعل في قولك (هذا الضارب زيداً) فعمل اسم الفاعل عمل الفعل لأنه بمعناه. والحال ينطبق على بقية الأمثلة في المشتقات كصيغ المبالغة وأسماء المفعول والتفضيل واسم الفعل.

أما التضمين بسبب الحمل على المعنى فقد أفاض فيه النحاة، يقول ابن جني (اعلم أن هذا الشرج غورٍ من العربية بعيد، ومذهب نازح فسيح، وقد ورد به القرآن وفصيح الكلام منثوراً ومنظوماً، كتأنيث المذكر وتذكير المؤنث، وتصور معنى الواحد في الجماعة والجماعة في الواحد ومن حمل الثاني على لفظ قد يكون عليه الأول، أصلاً كان ذلك اللفظ أو فرعاً، وغير ذلك)[2].

والحمل على المعنى في اللغة واسع جداً، يقول ابن جني (وباب الحمل على المعنى بحر لا يُنْكَشْ، ولا يُفْتَج، ولا يؤبى، ولا يُعرَّض، ولا يُغضغض، وقد أرينا وجهه)[3].

(1) البرهان في علوم القرآن- للإمام بدر الدين محمد بن عبدالله الزركشي- تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم- دار الجيل- بيروت- لبنان- طبعة 1408هـ 1988م- ج-3 ص338.

(2) الخصائص لابن جني- ج-2 ص-413 مرجع سابق.

(3) الخصائص لابن جني- ج-2 ص-437 مرجع سابق.

وقد وقع الحمل على المعنى في القرآن الكريم كثيراً مما يعني كثرة وقوع التضمين في الاسم.

ثالثاً: وقوع التضمين في الحرف:

اتسع الخلاف بين علماء النحو واللغة في تضمين الحروف، خاصة حروف الجر، ويرجع سبب هذا الخلاف إلى مسألة تناوب الحروف بعضها عن بعض، ففي حين يذهب البصريون إلى منع تناوب الحروف، ويرفضون ذلك رفضاً تاماً، ويتأولون ويلجأون إلى تضمين الأفعال بدلاً عن الحروف في كل ما أوهم غير ذلك، يذهب الكوفيون إلى غير ذلك ويجيزون تناوب الحروف بعضها عن بعض، ولا حرج عندهم من وقوع الحرف في موضع الآخر ويتوسعون في هذا الأمر كثيراً، يقول الزركشي: (إن النحويين اختلفوا في أيهما أولى – أي بالتضمين – فذهب أهل اللغة وجماعة من النحويين إلى أن التوسع في الحروف، وأنه واقع موقع غيره من الحروف أولى، وذهب آخرون إلى غير ذلك، والأوَّل مذهب الكوفيين)[1].

ومذهب سيبويه والمحققين من أهل البصرة أن (في) لا تكون إلا للظرفية حقيقة أو مجازاً، وما أوهم خلاف ذلك رد بالتأويل إليه)، ويلجأ البصريون إلى عدة طرق لتخريج الحرف الوارد في غير معناه، فمرة يلجأون إلى التأويل الذي يقبله اللفظ ومرة أخرى يلجأون إلى تضمين الفعل معنى فعل آخر يتعدى بذلك الحرف، وإذا عجزوا عن هذا وذاك حكموا عليه بالشذوذ، يقول ابن هشام: (ومذهب البصريين أن أحرف الجر لا ينوب بعضها عن بعض بقياس، كما أن أحرف الجزم والنصب كذلك، وما أوهم ذلك فهو عندهم إما مؤول تأويلاً يقبله اللفظ، وإما على تضمين الفعل معنى فعل يتعدى بذلك الحرف، أما على شذوذ إنابة كلمة عن أخرى[2].

ومن خلال هذه النصوص يتضح لنا جلياً رأي البصريين في عدم إنابة الحرف، فهو عندهم ممنوع قياساً، وإذا وقع ما أوهم ذلك خرجوه على ثلاثة أوجه:

(1) البرهان للزركشي – ج3 – ص-132 مرجع سابق.
(2) انظر مغني اللبيب لابن هشام الأنصاري – ج-1 ص-132 مرجع سابق.

الأول: أنه مؤول تأويلاً يقبله اللفظ.

الثاني: أنه على تضمين الفعل معنى فعل آخر يتعدى بذلك الحرف.

الثالث: أنه شاذ لا يقاس عليه.

أما الكوفيون فكما يقول ابن هشام – فهم أقل تعسفاً، ومجمل الباب عندهم وعند بعض المتأخرين ألا يجعلونه شاذاً[1]. ولكن كما يقول ابن جني فليس الأمر على إطلاقه، أي أنَّه لا يجوز إنابة حرف عن حرف في كل الأحوال، فكما اشترط مجمع اللغة العربية بالقاهرة لابد من وجود مناسبة بين الفعلين[2]؛ أو وجود مسوغ لذلك وألا يخرج عن بلاغة اللغة وفصاحتها. يقول ابن جني: (... إنه– أي تناوب الحرف– يكون بمعناه في كل موضع دون موضع على حسب الأحوال الداعية إليه أو المسوغة له، أما في كل موضع وعلى كل حال فلا)[3].

ووجه الخلاف بين البصريين والكوفيين ليس في التضمين نفسه، وإنما في اللفظ المضمن، فالبصريون يضمنون معنى الفعل ولا يضمنون معنى الحرف، ويرون أنَّ التجوُّز في الفعل أسهل منه في الحرف، وأنَّ الحرف باقٍ على معناه، وإنَّما الفعل هو الذي يتضمن معنى فعل آخر يتعدى بذلك الحرف، في حين أن الكوفيين يكون التضمين عندهم في الفعل والحرف معاً، ففي الفعل أن يضمن معنى فعل آخر وفي الحرف إنابة غيره عنه.

وفي رأي الباحث أن مذهب الكوفيين فيه مرونة تساير اللغة، ولا تضيِّق واسعاً، وهذا هو شأنهم في كثير من القضايا النحوية التي ورد فيها خلاف بينهم وبين البصريين، فهم دائماً أقلُّ تعسفاً، وجدناهم أقلَّ تعسفاً في السماع، وأقل تعسفاً في القياس، وهنا وجدناهم أقل تعسفاً في إنابة الحروف، ومما يؤيد نظرتهم في تضمين الحروف وإنابتها عن بعضها، وقوع ذلك كثيراً في الشعر والنثر والحديث والقرآن. وسيتناول المبحث الثاني وقوع التضمين في جميع أقسام الكلمة في القرآن الكريم، وايراد النماذج التي تعضد ذلك وتؤيده.

(1) انظر مغني اللبيب لابن هشام الأنصاري- ص-132 مرجع سابق.
(2) مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة – العدد الأول – ص-33 مرجع سابق.
(3) الخصائص لابن جني- ج-2 ص-308 مرجع سابق.

المبحث الثاني

نماذج من تطبيقات التضمين في القرآن الكريم

المطلب الأول

نماذج من تطبيقات تضمين الفعل في القرآن الكريم

سبق القول على إجماع علماء النحو واللغة على وقوع التضمين في الفعل واتفاقهم على جواز اشراب فعل معنى فعل آخر، كما أنهم قد اتفقوا على طرق وأسباب وقوع هذا التضمين، وفيما يلي نورد بعض النماذج من القرآن الكريم على ذلك:

(1) فقد يكون التضمين بسبب تعدي الفعل اللازم أو لزوم الفعل المتعدي بواحد من أسباب التعدية كالهمزة والتضعيف وزيادة بعض الحروف أو حذفها توسعاً في الكلام وإلى غير ذلك من أسباب التعدية.

فمثال التضمين بسبب تعدي الفعل اللازم بالهمزة قوله تعالى: ﴿**وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُم بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ**﴾ [الأحقاف: 20]، فالفعل (ذهب) فعل لازم عدّي بالهمزة فنصب كلمة (طيباتكم) على أنها مفعول به.

ومثله الفعل (خرج) فهو لازم يتعدى بالهمزة كما في قوله تعالى: ﴿**كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ**﴾ [الأعراف: 27]، فأخرج فعل متعدي بدخول الهمزة عليه فنصب المفعول (أبويكم)[1].

ومثله قوله تعالى: ﴿**وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ**﴾ [فاطر: 34]، فنصب الفعل (أذهب) كلمة (الحزن) بسبب دخول همزة التعدية عليه.

ومثال التضمين بسبب تعدي الفعل اللازم ودخول حرف الجر على الفعل (ذهب) في قوله تعالى: ﴿**يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ ۖ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُم**

(1) انظر الدر المصون في علوم الكتاب المكنون للإمام شهاب الدين أبي العباس بن يوسف بن محمد بن إبراهيم المعروف بالسمين الحلبي- تحقيق الشيخ: علي محمد معوض وآخرين- دار الكتب العلمية- بيروت- الطبعة الأولى 1414هـ 1994م- ج-3 ص257.

مَّشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: 20]، ى إليهما بدخول حرف الجر الباء، وقد يحذف حرف الجر توسعاً في الكلام وإن كان غير مقيس كما في قول جرير:

تَمُرُونَ الدِّيَار وَلمْ تُعوجوا كَلامُكم عَليَّ إذاً حرام[1]

فحذف الباء من كلمة (الديار) فانتصبت مفعولاً بحذف الجار، والأصل تمرون بالديار، والفعل (مرَّ) فعل لازم لا يتعدى بنفسه، ومثله قول عمر بن أبي ربيعة المخزومي:

غَضِبتْ أن نظرتُ نحو نِسَاءٍ لَيْسَ يَعْرِفْنَنِي مَرَرْنَ الطَّرِيق

أراد مررن بالطريق، فحذف حرف الجر توسعاً فانتصب الاسم بعده، ولم يقع النصب للفعل اللازم بحذف حرف التعدية في القرآن الكريم على حسب علم الباحث لعدم قياسيته.

ويسمي النحاة همزة التعدية بهمزة النقل، كما يسمون باء التعدية بباء النقل لأنها تؤدي إلى تعدية الفعل اللازم إلى مفعوله بالنقل، وتحول الفاعل إلى مفعول.

(2) وقد يكون التضمين في الفعل بأن يضمن الفعل اللازم معنى الفعل المتعدي فيتعدى إلى مفعوله بنفسه وهو ما يطلق عليه الاشراب في تعريف مصطلح التضمين وهو أن يُشرب فعل معنى فعل آخر، مثال ذلك: الفعل (عزم) فهو فعل لازم لا يتعدى إلى مفعوله بنفسه وإنما يتعدى بحرف الجر، تقول: (عزمت على الشيء) ولكنه لما ضُمِّن معنى فعل آخر تعدى بنفسه، كالفعل (نوى) وهو بمعنى (عزم) كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ﴾ [البقرة: 235]، وفي قوله تعالى: ﴿وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: 227]، ففي الآيتين ضمن الفعل اللازم (عزم)

(1) ديوان جرير- شرح محمد بن حبيب- ص-278 مرجع سابق.

معنى الفعل المتعدي (نوى) فتعدي إلى مفعوله بنفسه[1].

ومن ذلك أيضاً قوله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ﴾ [هود: 60]، فالفعل (كفر) فعل لازم لا يتعدى بنفسه بل بحرف الجر، فلما ضمن الفعل اللازم (كفروا) معنى الفعل المتعدي (جحدوا) تعدى بنفسه فنصب كلمة (ربهم).

(3) ومن أمثلة التضمين في الفعل أن يعدى الفعل بالحرف وهو في الأصل يتعدى بنفسه، ولكن عندما ضُمِّن معنى الفعل المتعدي بالحرف عدِّي بذلك الحرف، ومثاله الفعل (أصلح) فهو قد يتضمن معنى الفعل (بارك) كما في قوله تعالى: ﴿وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي﴾ [الأحقاف: 15]، فأصلح هنا بمعنى (بارك) والمعنى (بارك لي في ذريتي).

ومن ذلك أيضاً الفعل (سمع) فهو متعد بنفسه، تقول: (سمعت الحديث) ولكنه لمّا ضمِّن معنى الفعل (صغى) تعدى بحرف الجر كما في قوله تعالى: ﴿وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ﴾ [المنافقون: 4]، أي: تصغي لقولهم؛ وإذا قلت: (سمع الله لمن حمده) ضمنت الفعل (سمع) معنى الفعل (استجاب) فعديته بالحرف، فسمع الله لمن حمده معناه استجاب الله لمن حمده. وقد يكون الفعل (سمع) على أصله فيكون متعدياً بنفسه كقوله تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾ [المجادلة: 1]، تعالى: ﴿لَّقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾ [آل عمران: 181]، فالفعل (سمع) في الآيتين جاء على أصله فلم يُعَدَّ بحرف الجر.

(4) ومن أمثلة التضمين في الفعل جعل الفعل المتعدي لمفعول واحد متعدياً لمفعولين.

× مثال ذلك الفعل (يألونكم) في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا﴾ [آل عمران: 118]. فضُمِّن الفعل (يألوا)

(1) انظر الدر المصون للسمين الحلبي- ج-1 ص-580 مرجع سابق.

الذي ينصب مفعولاً واحداً معنى الفعل (يمنع) الذي ينصب مفعولين والتقدير والله أعلم (لا يمنعونكم خبالاً)[1].

× ومن ذلك أيضاً قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ [البقرة: 31]. يقول السمين الحلبي: (وعَلَّم هذه متعدية لإثنين وكانت قبل التضعيف متعدية لواحد لأنها عرفانية، فتعدت بالتضعيف لآخر؛ وفرقوا بين "علم" العرفانية واليقينية في التعدية؛ فإذا أرادوا أن يعدوا العرفانية عدوها بالتضعيف، وإذا أرادوا أن يعدوا اليقينية عدوها بالهمزة، وقد ذكر ذلك أيضاً الشلوبين في البغية)[2].

وعكس ذلك أن يضمن الفعل المتعدي لمفعولين معنى الفعل المتعدي لمفعول واحد كالفعل (جعل) وهو من أفعال التصيير الذي ينصب مفعولين ولكنه لما ضمن معنى الفعل (خلق) تعدى لمفعول واحد، وروده على أصله ناصباً مفعولين كقوله تعالى: ﴿جَعَلَ اللهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِلنَّاسِ﴾ [المائدة: 97]، فجعل هنا نصب كلمتي (الكعبة، وقياماً) لأنه جاء بمعنى التصيير، وإذا جاء بمعنى (خلق) ينصب مفعولاً واحداً كقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾ [يونس: 67]، والتقدير والله أعلم (خلق لكم الليل).

(5) ومن أمثلة التضمين في الفعل، جعل الفعل المتعدي لمفعولين يتعدى لثلاثة مفاعيل بدخول همزة التعدية عليه، وهي أفعال العلم واليقين إذا دخلت عليها همزة التعدية، يقول السمين الحلبي: (... وحق الخبر الذي يقال فيه نبأ أنه يتعدى عن الكذب كالتواتر ولتَضمُّن النبأ معنى الخبر يقال أنبأته بكذا أي: أخبرته به، ولتضمنه معنى العلم قيل أنبأته كذا، كقولك: أعلمته كذا، فأنبأ ونبأ متى تضمن معنى العلم تعدت لثلاثة مفاعيل وهي نهاية التعدي)[3]، ومن أمثلة تضمين الفعل المتعدي لمفعولين معنى الفعل المتعدي لثلاثة مفاعيل عن طريق همزة التعدية، الفعل (أنبأ) الذي ضمن معنى الفعل (علم) في قوله تعالى:

(1) انظر الدر المصون للسمين الحلبي- ج-2 ص-193 مرجع سابق.

(2) الدر المصون- للسمين الحلبي- ج-1 ص-181 مرجع سابق.

(3) عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ – معجم معاني كلمات القرآن الكريم- تأليف أبي العباس شهاب الدين أحمد بن يوسف بن محمد بن مسعود بن إبراهيم الحلبي الشافعي المعروف المتوفى سنة 756هـ- تحقيق محمود محمد السيد الدغيم- الطبعة الأولى1407هـ 1987م- دار السيد للنشر- استانبول- تركيا- مكتبة نور عثمانية- ص559.

﴿أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة: 31]، يقول السمين الحلبي: (الأنباء الأخبار وأصل أنبأ أن يتعدى لاثنين ثانيهما بحرف الجر كهذه الآية، وقد يحذف الحرف، قال تعالى: ﴿مَنْ أَنبَأَكَ هَذَا﴾ [التحريم: 3]، أي: بهذا، وقد يتضمن معنى (أعلم) اليقينية فيتعدى تعديها إلى ثلاثة مفاعيل[1].

وفي قوله تعالى: ﴿قَدْ نَبَّأَنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ﴾ [التوبة: 94]، قال السمين الحلبي: (إنها متعدية لثلاثة مفاعيل كـ(علم) أي: أنها ضمنت معنى الفعل (علم) إلا أن المفعول الثالث حذف اختصاراً للعلم به والتقدير: نبأنا الله من أخباركم كذباً أو نحوه)[2].

(6) ومن أمثلة التضمين في الفعل جعل الفعل مرة متعدياً ومرة لازماً حسب التأويل والتوجيه، من ذلك:

- الفعل (يختص) في قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ﴾ [البقرة: 105]، يقول السمين الحلبي: (ويختص يحتمل أن يكون هنا متعدياً وأن يكون لازماً، فإن كان متعدياً كان فيه ضمير يعود على الله تعالى، وتكون "مَنْ" مفعولاً به، أي: يختص الله الذي يشاؤه برحمته... وإن كان لازماً لم يكن فيه ضمير أو يكون فاعله "مَنْ" أي: والله يختص برحمته الشخص الذي يشاؤه، وبهذا يتبين فساد قول من زعم أنه هنا متعد ليس إلا)[3].
- وفي قوله تعالى: ﴿وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ [البقرة: 36]، وقوله تعالى: ﴿اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ﴾ [البقرة: 61]، في الآيتين ورد الفعل (هبط) مرة لازماً كما في الآية الأولى، ومرة متعدياً كما في الآية الثانية، وقرئ الفعل (اهبطوا) بكسر الباء وبضمها، وبالضم كثير في غير المتعدي، والهبوط يعني النزول، وقيل الانتقال مطلقاً، وقيل الخروج من البلد، وهو أيضاً الدخول فيه فهو من الأضداد، وقوله

(1) الدر المصون للسمين الحلبي- ج2 – ص-182 مرجع سابق.
(2) الدر المصون للسمين الحلبي- ج3 – ص494 - مرجع سابق.
(3) الدر المصون للسمين الحلبي- ج1 – ص-334 مرجع سابق.

(بعضكم لبعض عدو) جملة ابتدائية فيها قولان: أصحهما أنها في محل نصب على الحال أي: اهبطوا متعادين، والثاني أنها لا محل لها استئنافية، وفي كلا الحالين الفعل معها لازم غير متعدٍ، أما في قوله (اهبطوا مصراً) فوقع الفعل متعدياً[1].

(7) ومن أمثلة تضمين الفعل أن يتعدى مرة بحرف ومرة أخرى بحرف آخر، مثال ذلك الفعل (وسوس) في قوله تعالى: ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ﴾ [طه: 120]، وقوله تعالى: ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا﴾ [الاعراف: 20]، فقد تعدى في الآية الأولى بحرف الجر (إلى) وفي الآية الثانية بحرف الجر (اللام)، يقول الزمخشري: (فإن قلت كيف عدَّى وسوس تارة باللام في قوله "فوسوس لهما الشيطان" وأخرى (بإلى)، قلت وسوسة الشيطان كولولة الثكلى ووقوقة الدجاجة في أنها حكايات الأصوات فحكمها حكم صوت واحد)[2]. وقال العكبري: (عُديَ وسوس بإلى لأنه بمعنى أَسرَّ، وعداه في موضع آخر باللام لكونه بمعنى ذكر له)[3]. وعند الكوفيين كل ذلك من تناوب الحروف، ينوب بعضها عن بعض.

يتضح من الأمثلة والنماذج التي مرت أنَّ التضمين في الفعل من الكثرة بحيث يصعب حصره، وأنَّ التضمين في الفعل هو الأصل، وهذا ما أجمعت عليه التعريفات السابقة، وذهب إليه كثير من النحاة واللغويين؛ وأن وسائله وأسبابه مختلفة فقد تصل إلى أكثر من عشرة أسباب؛ أولها وأهمها التعدية بصورها المختلفة، وإشراب الفعل معنى فعل آخر واستعمال اللازم مكان المتعدي والمتعدي مكان اللازم؛ وهو مجال يحتاج إلى أبحاث مستقلة، وما تمت الإ شارة إليه إنما هو نماذج وأنواع وردت في بعض الآيات القرآنية، وهناك ما ورد في عامة كلام العرب شعرهم ونثرهم، إضافة لما ورد في الحديث النبوي الشريف.

(1) انظر الدر المصون للسمين الحلبي- ج1 – ص-193 ص241 - مرجع سابق.

(2) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون التأويل في وجوه التأويل- للإمام أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي -407 538هـ- دار المعرفة- بيروت – لبنان- ج-2 ص57.

(3) التبيان في إعراب القرآن- تأليف أبي البقاء عبدالله بن الحسين العكبري- توفي سنة 616هـ- تحقيق محمد علي البجاوي- مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه- الطبعة الأولى 1976م- ج...- ص....

المطلب الثاني

نماذج من تطبيقات تضمين الاسم في القرآن الكريم

لم يكن هناك خلاف بين النحاة وأهل اللغة في وقوع التضمين في الاسم، ووقوعه في كلام العرب شعراً ونثراً أنه يأتي بعد الفعل من حيث الكثرة والشيوع، وقد وقع أيضاً كثيراً في القرآن الكريم. وفيما يلي نورد بعض النماذج الدالة عليه.

(1) في قوله تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ﴾ [البقرة: 187]، قال السمين الحلبي:(وعُدِيَّ الرفث بإلى، وإنما يتعدى بالباء لما ضمن معنى الإفضاء، كأنما قيل: أُحِلَّ لكم الإفضاء إلى نسائكم بالرفث[1].

وقال في عمدة الحفاظ:(وقوله تعالى الرفث إلى نسائكم كناية عن الجماع، وعُدِيَ بإلى لتضمنه معنى الإفضاء، وقال الراغب: وهما كالمتلازمين فلذا يقع كل منهما موقع الآخر[2]. وما يؤيد معنى الإفضاء قوله تعالى: ﴿وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ﴾ [النساء: 21].

(2) وفي قوله تعالى: ﴿حَقِيقٌ عَلَى أَن لَّا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [الأعراف: 105]. في كلمة " حقيق " أقوال ستة أحدها أنه ضمن حقيق معنى حريص، كما تضَّمن هيّجني معنى ذكّرني في بيت النابغة:

إذا تغنى الحمام الورق هيّجني ولو تسليت عنها أمّ عمّار[3]

(3) وفي قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ ۖ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: 52]، اختلف النحاة في كلمة " أنصاري إلى الله" فبعضهم ذهب إلى إنابة حرف الجر إلى، وبعضهم إلى تضمُّن الاسم أنصاري فقيل ضمِّن أنصارى معنى الإضافة أي: من يضيف نفسه إلى الله في نصرتي ويكون (إلى الله) متعلقاً بنفس أنصاري، وقيل متعلقاً بمحذوف على أنه حال من الياء في (أنصاري)

(1) الدر المصون للسمين الحلبي- ج1 ص473.
(2) عمدة الحفاظ- للسمين الحلبي- ص-207 مرجع سابق.
(3) انظر الدر المصون للسمين الحلبي ج3ص-314 الخصائص لابن جني ج3 ص-425 ديوان النابغة ص-51 الكتاب لسيبويه ج1ص386.

أي: من أنصارى ذاهبا إلى الله ملتجئا إليه، قال بذلك الزمخشرى والتقدير من أصحاب نصرتي أي: من أنصاري مضافين إلى الله، وتكون "إلى" هنا على بابها[1].

(4) وفى قوله تعالى: ﴿مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَامِرًا تَهْجُرُونَ﴾ [المؤمنون: 67]، قيل ضمن الاستكبار معنى التكذيب، ولذلك عدىَ بالباء وفيه يكون الضمير عائداً للقرآن والرسول عليه السلام[2].

(5) ومن أمثلة التضمين في الاسم، أن يضمن الاسم معنى الفعل، فيعمل عمله وإن لم تنطبق عليه شروط الفعل كأسماء الأفعال والمشتقات والمصادر فهي كلها أسماء، وتعمل عمل الفعل لأنها متضمنة معناه، ومن أمثلة ذلك:

1. أسماء الأفعال هيهات وشتان، وأفٍّ وأوه وصه وإيه ومما ورد منها في القرآن الكريم هيهات في قوله تعالى: ﴿هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ﴾ [المؤمنون: 36]، وهيهات هنا بمعنى الفعل بعد، ومنه قوله تعالى: ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا﴾ [الإسراء: 23]، أفٍّ اسم فعل بمعنى أتضجر.

2. ومن أمثلة المشتقات اسم الفاعل– فى قوله تعالى: ﴿وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ﴾ [الكهف: 18]، فذراعيه منصوب باسم الفاعل باسط، ومثله قوله تعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ﴾ [هود: 12]، فتارك وضائق كلاهما فاعل نصبا ما بعدهما، كلمتي "بعض" و"صدرك" على المفعولية.

ومن أمثلة اسم المفعول قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ﴾ [هود: 103]، مجموع ومشهود كلاهما اسما مفعول رفعا كلمة يوم على أنها نائب فاعل.

(6) ومن أمثلة تضمين الأسماء؛ تضمين الاسم الموصول معنى الشرط الواقع مبتدأ فيجوز في خبره أن يقترن بفاء الجواب، ووجه الشبه بينهما الدلالة على الإبهام والغموض كقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ

(1) انظر الدر المصون- ج2 ص112.
(2) انظر الدر المصون- ج5 ص195.

سرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [البقرة: 274]، فضمن اسم الموصول "الذين" معنى اسم الشرط فاقترن جوابه بالفاء "فلهم أجرهم" ومثاله قوله تعالى: ﴿وَاللَّائِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِن نِّسَائِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ﴾ [الطلاق: 4]، فاسم الموصول "اللائي" ضُمن معنى الشرط فاقترن جواب الشرط بالفاء "فعدتهن" وعلل سيبويه جواز تضمين الموصول معنى الشرط بقوله (وإنما جاز ذلك لأن قولك الذي يأتيني فله درهم في معنى الجزاء فدخلت الفاء في خبره كما تدخل في خبر الجزاء)[1].

(7) ومن أمثلة تضمين الاسم الحمل على اللفظ وعلى المعنى: الأصل في اللغة العربية الحمل على اللفظ ولكن قد يحمل على المعنى أحياناً كما أشار إلى ذلك ابن جني في كتابه الخصائص[2].

فإذا اجتمع حملان احدهما على اللفظ والآخر على المعنى بدئ بالحمل على اللفظ، وقد ورد الحمل على اللفظ في القرآن الكريم كثيراً مثال ذلك قوله تعالى: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ • وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [النساء: 13-14]، ففي قوله (يدخله) حمل على لفظ (مَنْ) فأفرد الضمير في قوله (يطع) و (يدخله) وعلى معناها فجمع في قوله (خالدين) وهذا أحسن الحملين أي: الحمل على اللفظ ثمّ الحمل على المعنى، ويجوز العكس- أي الحمل على المعنى ثمّ الحمل على اللفظ كقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ﴾ [الأنعام: 78]، حيث أشار بلفظ المذكر (هذا) إلى لفظ المؤنث الشمس من باب الحمل على المعنى لا على اللفظ.

ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا﴾ [الحجرات: 9]، فجاء التضمين بحمل لفظ المثنى على المجموع في كلمة (طائفتان) و(اقتتلوا)

(1) الكتاب لسيبويه – أبي عمرو عثمان بن قنبر- تحقيق وشرح عبدالسلام محمد هارون- الطبعة الثانية- القاهرة- الهيئة العامة المصرية للكتاب 1977م- ج2 – ص105.

(2) انظر الخصائص لابن جني- ج2 ص-422 مرجع سابق.

و(أصلحوا)، وهذا كثير يقول ابن جني " والحمل على المعنى واسع في هذه اللغة جداً[1]. ويقول (واعلم) أن هذا الشرح أي: النوع غور من العربية بعيد، ومذهب نازح فسيح، قد ورد به القرآن وفصيح الكلام منثوراً ومنظوماً كتأنيث المذكر...[2].

ومن أكثر أنواع الحمل على اللفظ والمعنى في القرآن الكريم الالتفات، فقد ورد في كثير من آيات القرآن الكريم كالالتفات من ضمير الغيبة إلى التكلم أو الخطاب، ومن ضمير الخطاب إلى التكلم أو الغيبة، ومن ضمير التكلم إلى ضمير الغيبة أو الخطاب، كل ذلك ورد في القرآن الكريم وسيفرد له الباحث إن شاء الله ورقة بحثية تستقصي جميع جوانبه.

المطلب الثالث

نماذج من تطبيقات تضمين الحرف في القرآن الكريم

سبقت الإشارة إلى وقوع الخلاف في التضمين في الحرف، ويرجع سبب هذا الخلاف في جواز وعدم جواز إنابة الحروف بعضها عن بعض. ففي حين يرفض البصريون إنابة الحروف ويتأولون ما وقع منها إمَّا بتضمين الفعل معني فعل آخر يقبل دخول ذلك الحرف عليه ؛ وإما بالتأويل، وقد يحكمون أحياناً عندما يعوزهم تضمين الأفعال والتأويل، يحكمون على وقوع الحرف موضع الآخر بالشذوذ. أما مذهب الكوفيين ففيه مرونة وتوسع في كل الأحوال فيجيزون تضمين الأفعال والأسماء كما يجيزون إنابة الحروف بعضها عن بعض. وقد وردت الأمثلة المختلفة في القرآن الكريم كما وردت في كلام العرب شعرهم ونثرهم وفى كل مثال يمكن الأخذ بتضمين الأفعال أو الأسماء أو إنابة الحروف. وفيما يلي نورد بعض النماذج من القرآن الكريم عن ذلك.

(1) في قوله تعالى: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾ [المعارج: 1].

وفى قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا﴾ [الفرقان: 59].

(1) الخصائص لابن جني- ج2 ص425.
(2) نفسه- ج2 ص413.

في الآية الأولى ورد الفعل (سأل) وفيه وجهان[1]:

أحدهما أن يكون قد ضمِّن معني دعا، فلذلك تعدي بالباء، كما تقول: دعوت بكذا، والمعنى دعا داع بعذاب.

والثاني: أن يكون الفعل على أصله، والباء بمعني (عن) كقول الشاعر:

فإن تسألوني بالنساء أي: عن النساء

وفى الآية الثانية في قوله (به) وجهان:

أحدهما: أنها على بابها، وهي متعلقة بالسؤال، والمراد بالخبير الله تعالى ويكون من التجريد كقولك: لقيت به أسداً والمعنى: فسأل الله الخبير بالأشياء.

والثاني: أن تكون الباء بمعنى (عن)، إما مطلقاً وإما مع السؤال خاصة.

والتخريج الأول في كل آية هو على مذهب البصريين الذين لا يتجوزون في إنابة الحروف، وعندهم أن التجوز في الفعل أولى منه في الحروف لقوته، والتخريج الثاني هو على مذهب الكوفيين الذين يجيزون إنابة الحروف[2].

(2) وفي قوله تعالى: ﴿**وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ**﴾ [يس: 38]، وردت كلمة (لمستقر) وقيل- على رأي البصريين- أنَّ في الكلامَ حذف مضاف تقديره: لجري مستقر لها؛ وعلى هذا فاللام للعلة أي: لأجل جري مستقر لها، وفي هذا تكلف واضح، ولذلك يرى السمين الحلبي أن الصحيح لا حذف وأنَّ اللام بمعنى (إلى) على رأي الكوفيين في إنابة الحرف، ويدل على ذلك قراءة بعضهم (إلى مستقر)، وقُرِئَ في الشاذ (لا مستقرَّ) بلا النافية للجنس[3]. واللام تبدل إلى الحرف (إلى) كما جاء في التنزيل، قال تعالى: ﴿**فَوَسْوَسَ لَهُمَا**﴾ [الأعراف: 20]، وقوله تعالى: ﴿**فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ**﴾ [طه: 120]، وكقوله تعالى: ﴿**يَجْرِي لِأَجَلٍ**﴾ [الزمر: 5]، و (يجري إلى أجل) فاللام

(1) انظر الدر المصون- ج-6 ص-372 مرجع سابق.
(2) انظر الدر المصون – ج-6 ص-372 ج-5 ص-260 مرجع سابق.
(3) انظر الدر المصون – ج-5 ص-485 مرجع سابق.

وإلى قيل إنهما لغتان وقيل أنهما يتعاقبان[1].

(3) وفي قوله تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾ [البقرة: 14]، في قوله تعالى: (وإذا خلوا إلى شياطينهم)، الأكثر في (خلا) أن يتعدى بالباء، وقد يتعدى (بإلى) من باب التناوب- أما على رأي البصريين فقد ضُمِّن (خلا) معنى (صرف) فتعدى (بإلى) والمعنى: صرفوا خلاهم إلى شياطينهم- أو ضُمِّن (خلا) معنى ذهبوا وانصرفوا فيكون كقول الفرزدق:

أَلَمَ تَرَانِي قَالِياً مَجْنِي قَدْ قَتَلَ اللهُ زِيَاداً عَنِّي[2]

أي: صرفه بالقتل.

أما الكوفيون فقد ذهبوا إلى أن حرف الجر (إلى) بمعنى الباء، والمعنى إذا خلوا بشياطينهم ويرى السمين الحلبي أن (خلا) يتعدى بالباء، وقد يتعدى (بإلى) وإنما تعدى في هذه الآية بإلى لمعنى بديع، وهو أنه إذا تعدى بالباء احتمل معنيين أحدهما: الانفراد والثاني: السخرية والاستهزاء، تقول (خلوت به) أي: سخرت منه، وإذا تعدى بإلى كان نصاً في الانفراد فقط[3]. وقيل (إلى) هنا بمعنى (مع) كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ﴾ [النساء: 2]، وقيل هي بمعنى الباء، وهذان القولان إنما يجوزان عند الكوفيين، وأما على تقدير (إلى) على بابها فلا يكون إلا بالتضمين في الفعل (خلا).

(4) وفي قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللهِ﴾ [الجمعة: 9]، يوم الجمعة ظرف وحق الظرف أن يأتي معه حرف الظرفية (في)، ولذلك قال أبو البقاء إنها بمعنى (في) أي: في يوم الجمعة، ولما لم يكن هناك تخريج لغير ما ذكر، فذهب البصريون إلى أنها شاذة[4].

(1) انظر تفسير البحر المحيط لمحمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي المتوفى سنة 745هـ- حققه الشيخ عادل أحمد عبدالجواد وآخرون- دار الكتب العلمية- بيروت- الطبعة الأولى 1413هـ 1993م- ج-6ص264.

(2) انظر المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها- أبو الفتح عثمان ابن جني- تحقيق علي النجدي وصاحبيه- المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية – القاهرة- 1415هـ 1994م- ج-1 ص52.

(3) انظر الدر المصون – ج-1 ص-123 مرجع سابق.

(4) انظر الدر المصون – ج-6 ص-318 مرجع سابق.

(5) وفي قوله تعالى: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ﴾ [طه: 71]، (في جذوع النخل) فيها وجهان:

الأول: وهو ما يوافق رأي البصريين أنْ حرف الجر وضع على حقيقته، وهو الظرفية– وأُوِّل الحرف تأويلاً يقبله اللفظ، وذلك بتشبيه المصلوب لتمكنه من الجذع بالحال في الشئ[1]، ومما يؤكد ذلك ما جاء في التفسير، أنه نقر جذوع النخل حتى جوَّفها ووضعهم فيها فماتوا جوعاً وعطشاً.

والثاني: أنه وُضع حرف مكان حرف آخر، والأصل على جذوع النخل، وذلك من باب النيابة كقول الشاعر:

بَطَلٌ كَأَنَّ ثِيَابَهُ فِي سَرْحِهِ يُحْذَى نِعَالَ السَّبْتِ لَيْسَ بِتَوْأَمِ[2]

أي: على سرجه. أو شبه تمكنهم بتمكن من حواه الجذع واشتمل عليه.

(6) وفي قوله تعالى: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾ [الإنسان: 6]، ذكر البصريون في قوله تعالى: (يشرب بها) عدّة أوجه منها:

1. أنَّ الباء في (بها) زائدة والمعنى يشربها، ويدل على ذلك ويعضده قراءة ابن "أبي عبلة" (يشربها) مُعَدى إلى الضمير نفسه.
2. أنَّ الباء بمعنى (من) أي: يشرب منها على باب التناوب.
3. أنها على تضمين "يشربون" معنى يلتذون بها شاربين، أي على تضمين الفعل يشرب يلتذ.
4. أنها على تضمين الفعل يشرب معنى يروى، أي: يروى بها عباد الله.

فالوجه الأول والثالث والرابع على التضمين، والوجه الثاني عن الإنابة[3]، ومما يؤكد معنى الإنابة أو الزيادة قول الشاعر:

شربن بما البحر ثم ترفعت متى لججٍ خضرٍ لهن نئيج[4]

(1) انظر التضمين في النحو العربي – منيرة محمود الحمد- ص-452 مرجع سابق.
(2) لم أهتد لقائله.
(3) انظر الدر المصون- ج-6 ص-441 مرجع سابق.
(4) البيت لأبي ذؤيب الهذلي- في ديوان الهذليين- الدار القومية للطباعة والنشر- القاهرة 1384هـ 1965م- نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب 1369هـ 1950م- ص52.

(7) وفي قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنزِيلًا﴾ [الفرقان: 25]، في الجار والمجرور بالغمام ثلاثة أوجه:

الأول: أنَّ الباء على السببية وهو أحد معانيها التي وضعت له، أي: بسبب الغمام يعني بسبب طلوعه منها. ومثله قوله تعالى: ﴿السَّمَاءُ مُنفَطِرٌ بِهِ﴾ [المزمل: 18]، وكأنه الذي يتشقق به السماء.

الثاني: أنها للحال، أي: أنها حالية، والمعنى حال مكتسية بالغمام وذلك على التأويل.

والثالث: أنها بمعنى (عن)، أي: عن الغمام كقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَشَقَّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا﴾ [ق: 44]، وفيها إنابة حرف عن حرف.

الخاتمة

الحمد الله الذي بنعمته تتم الصالحات والصلاة والسلام على أشرف خلق الله، محمد بن عبدالله وعلى أصحابه ومن والاه، تناول هذا البحث موضوع التضمين النحوي في اللغة العربية وبعض النماذج والتطبيقات من القرآن الكريم وبيّن فيه الباحث أهمية هذا الموضوع واهتمام علماء العربية به وتوصل إلي النتائج التالية:

1. اعتماد قياسية التضمين وعدم الوقوف على ما تمّ سماعه من القدماء وذلك وفق الشروط التي وضعها المتأخرون من العلماء.
2. الأخذ برأي الكوفيين في إنابة بعض الحروف عن بعضها وعدم الالتفات إلى الرأي القائل بعدم الإنابة – وذلك لورودها في القرآن الكريم وكلام العرب.
3. لم يرد في القرآن الكريم التضمين بسبب حذف الجر توسعاً وما ورد من ذلك في كلام العرب لا يقاس عليه، ويدخل في ضرورات الشعر.
4. أكثر ما ورد من التضمين جاء في الأفعال تليها الأسماء ثم الحروف.

وبناءً على النتائج السابقة يوصي الباحث بالآتي:

1. عمل دراسات وبحوث عن التضمين في القرآن الكريم يتناول جميع الأفعال التي ورد فيها التضمين وكذلك الأسماء والحروف.
2. إفراد دراسات وبحوث للتضمين في الحديث النبوي الشريف.
3. عمل دراسات وبحوث تتناول أوجه الخلاف بين البصريين والكوفيين في مسألة تضمين الحروف وإنابة بعضها عن بعض.
4. اعتماد مفردة التضمين النحوي وتطبيقاته في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف في مناهج كلية الدراسات العليا بالجامعات لدارسي اللغة العربية.

قائمة بأسماء المصادر والمراجع

1. القرآن الكريم.
2. الخصائص: تأليف أبي الحسن عثمان بن جني- تحقيق محمد علي النجار- الهيئة المصرية العامة للكتاب- الطبعة الرابعة1999م.
3. لسان العرب: للعلامة أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري 630-711هـ - مطبعة دار إحياء التراث العربي- مؤسسة التاريخ العربي- بيروت- لبنان الطبعة الثالثة 1413هـ 1993-م.
4. مختار الصَّحاح للشيخ الإمام محمد أبي بكر بن عبدالقادر الرازي- طبعة دائرة المعاجم- مكتبة لبنان 1986م.
5. القاموس المحيط: للشيخ مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزبادي الشيرازي – دار العلم للملايين – بيروت – لبنان.
6. المعجم الوسيط: قام بإخراجه إبراهيم مصطفى، أحمد حسن الزيات، حامد عبدالقادر، محمد علي النجار- المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع- استانبول- تركيا- الطبعة الثانية.
7. مغني اللبيب عن كتب الأعاريب- للإمام جمال الدين عبدالله بن يوسف بن أحمد بن هشام المتوفى سنة 761هـ - طبعة دار السلام- القاهرة - تحقيق أ.د صلاح عبد العزيز علي السيد.
8. التضمين في النحو العربي- بحث مقدم من منيرة محمود الحمد- أستاذ مساعد بقسم اللغة العربية - كلية البنات الرياض 1412هـ.
9. أنواع التضمين في علوم العربية - للأستاذ عبد الحليم يوقي- بحث منشور لمجلة دراسات أدبية العدد الثالث 2009م- الجزائر- مركز البصيرة للبحوث والدراسات.
10. مجلة مجمع اللغة العربية- القاهرة - العدد الأول- دورة الإنعقاد الأولى.

11. ديوان أبي ذؤيب الهذلي- الدار القومية للطباعة والنشر- القاهرة 1384هـ 1965م- نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب 1369هـ 1950م.
12. ديوان أبي فراس الحمداني: رواية أبي عبدالله الحسين بن خالويه – طبعة دار صادر- بيروت – الطبعة الثانية 2005م.
13. ديوان النابغة الذبياني: شرح وتقديم عباس عبدالستار- دار الكتب العلمية – بيروت- لبنان- الطبعة الأولى1405هـ 1984م.
14. التضمين النحوي في القرآن الكريم- تأليف الدكتور محمد نديم فاضل- مكتبة دار الزمان للنشر والتوزيع- المدينة المنورة- الطبعة الأولى 1426هـ – 2005م.
15. شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك- تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد- مكتبة دار التراث طبعة 1426هـ – 2005م.
16. البرهان في علوم القرآن: للإمام بدر الدين محمد بن عبدالله الزركشي- تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم- دار الجيل- بيروت- لبنان- طبعة 1408هـ 1988م
17. ديوان جرير: بشرح محمد بن حبيب – تحقيق الدكتور نعمان محمد أمين طه- طبعة دار المعارف- القاهرة.
18. ديوان عمر بن أبي ربيعة المخزومي: الناشر المكتبة التجارية الكبرى لصاحبها مصطفى محمد- الطبعة الثالثة- 1384هـ 1965م.
19. عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ- معجم معاني كلمات القرآن الكريم- تأليف أبي العباس – شهاب الدين أحمد بن يوسف بن محمد بن سعود بن إبراهيم الحلبي الشافعي- المعروف بالسمين- المتوفي سنة 756هـ – تحقيق محمود محمد السيد الدغيم – الطبعة الأولى- 1407هـ – 1987م- دار السيد للنشر- استانبول- مكتبة نور عثمانية.

20. الدر المصون في علوم الكتاب المكنون- تأليف الإمام شهاب الدين أبي العباس بن يوسف بن محمد بن إبراهيم المعروف بالسمين الحلبي- تحقيق وتعليق الشيخ علي محمد معوض وآخرين- دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان- الطبعة الأولى 1414هـ - 1994م.
21. الكشاف: عن حقائق التنزيل وعيون التأويل في وجوه التأويل- للإمام أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي -407 538هـ- دار المعرفة- بيروت – لبنان- بدون تاريخ للطبعة.
22. الكتاب- لسيبويه- أبي عمرو بن عثمان بن قنبر- تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون- الطبعة الثانية- القاهرة- الهيئة المصرية العامة للكتاب 1977م.
23. المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها: أبو الفتح عثمان ابن جني- تحقيق علي النجدي وصاحبيه- المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية – القاهرة- 1415هـ 1994م.